موشّح في القلب الاقدس

اثر مفقود للسيّد جرمانوس فرحات

توطئة

لمّا اخذت عبادة قلب يسوع الاقدس تنتشر في الغرب في القرن السابع عشر جعل المرسلون ولا سيّما اليسوعيين يسعون في نشرها ايضاً بين الشرقيين . فنقل الاب بطرس فروماج سيرة الطوباوية مرغريتا مريم ألاكوك التي وكلّ اليها الربّ نشر هذه العبادة النقوية ثمّ وضع كتاباً بيّن فيه خواصّ التعبُّد للقلب الالهيّ واثبت صوابهُ عقلاً ونقلاً . فأنشئت الاخويّات لاكرام قلب يسوع وشُيّدت المعابد واقيمت الرياضات النقويّة . ومن جملة الذين شاركوا المرسلين في تعزيز تلك العبادة السيّد الجليل والعديد المأثر المطران جرمانوس فرحات رئيس اساقفة حلب على الموارنة . ولهُ في ديوانهِ قصيدة رنّانة تنزّل فيها بخيال قلب مخلّص البشر وعرّض بذكر الاخويّة المنشأة لاكرامهِ في حلب (ص ٣٤ من ديوانهِ) بدؤها :

يا قلبُ طِرْ من وَكْنة الاحشاء نحو الحبيب الفاخر الأزياء

وقد وقفنا لهُ في احد مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة على اثر آخر مفقود في محبّة قلب يسوع الاقدس المتألم وهو موشّح لطيف اودعهُ كثيراً من المعاني الخفيّة والرموز المشارة من الاسفار المقدّسة فاحببنا نشرهُ بمناسبة عيد قلب يسوع الواقع في يوم الجمعة بعد الاسبوع المخصّص بعيد القربان الاقدس وهو كما نرى :

حبّ قلب أيسوعَ أقصى بُغيتي لستُ فيهِ استريبْ
وشقائي في هواهُ جنّتي وبهِ عيشي يطيبْ
فيهِ آلامي أراها لذّتي وعَنا القلبِ الكئيبْ
في دواعي عأتي او غأتي هو لي اغنى طبيبْ

*

قلبهُ المطعون من ذاك السنانْ صار باباً للخلاصْ
فادخلوهُ بسلام وامانْ وأثروهُ باختصاصْ
تجدوا المنجى بذيّاك الجنانْ من فخاخ الاقتناصْ
ثمّ ترعوا خير مرعى في الجنانْ في رعى الوادي الخصيبْ

*

ياعذارى اطرحن عنكنّ الوسن كي تلاقين العروس
مستعدّات لإقبال الختن بمصابيح النفوس
قبل ان تُغلق جنّاتُ عدن ويجازى بالبؤس
كلُّ وانٍ لم يكن طول الزمن حاملًا نير الصليب

*

حملَ الاوزارَ عنّا ذا الحملْ حملُ الله الذبيحْ
برّنا اكمَلَهُ لمّا اكتملْ وهو ذو قلبٍ جريحْ
فازَ بالخيرات طرًّا مَنْ دَخلْ ضمنَ احشاء المسيحْ
وحظي بالفوز بل نال الأملْ من غدا فيهِ سليبْ

*

حربةٌ قد ولجتْ في جنبهِ ليتني قد كنتُها
حيثُ لا مفصلَ لي من قلبهِ في حياةٍ عشتُها
قد حباني نعمةً في صلبه لم اكُ استحققتُها
يا فؤادي فاتّقدْ في حبّهِ وانْسَ في هذا اللهيب

[مقاتف الدروس الدرّية]

*

قلبُ محبوبي سريرٌ زاهرٌ احسنُ الزهر المطرْ
فاذا أغفلَ فقلبي ساهرٌ حائرًا اسمى السرورْ
انني بالحبّ صبٌّ حائرٌ فاكتفوني بالزهورْ
كيف لا والحبُّ عندي حاضرٌ في فؤادي لا يغيبْ

*

تحت رأسي يبسطُ اليد الشمالْ وأحاطت بي اليمينْ
أيلٌ يرتعُ في روس الجبالْ بالألوف الاطهرينْ
حولهُ الابكارُ غاداتُ الجمالْ تتبعُ الصدق الامينْ
حيثما سار بانوار الجلالْ ما لها منهُ مغيبْ

*

منبرُ اللاهوت كرسيُّ النقا روحُ ارواح الوجودْ
هيكل الله الصفيّ المتقى فلهُ اسمى السجودْ
منبعٌ فيهِ البخورُ المنتقى عرفهُ الزاكي الوَقودْ
فاعبدوا ذا القلب يا اهل التقى من اديبٍ ولبيبْ

[دعوة الحبيب]

*

يا عبادي أكرموا قلبي البهي واشهروني في العبادْ
انا خمر الروح والسكر الشهي وبيَ العزُّ المرادْ
انا اغنى مشتهى للمشتهي وعليَّ الاعتمادْ
ولواذُ المبتدي والمنتهي في نصيب ومصيبْ

*

انَّ قلبي يا عروساً لم يَزلْ مستعدًّا للقا
فاستقرّي فيهِ تحظي بالأملْ وتفوزي بالبقا
كلّ قلبٍ لم يَلِجهُ يحتَزلْ ويلازمهُ الشقا
ثمّ من صفّ العذارى يُعتزَلْ والرجا منهُ يخيبْ

*

اسمعي يا ابنةُ واصغي وانظري وباذنيك انصتي
وتناسَي شعبكِ ثم اهجري انسابكِ واثبتي
يَضبُ مَلكٌ لجمالكِ فانذري عفّةً لهُ ابنتي
أسرعي يا خأتي ثمّ أحضري وادخلي قلبي الرحيبْ

*

انّا خدرُكِ قلبي المنجرحْ فاختفي في حجلتي
واستكني ضمن جنبي المنفتح واغتذي من مهجتي
اعبدي قلبي الجريح المُنمسح وادخلي أخويتي
واصحبي الابكار في الخدر القرح والبسي ثوبي القشيبْ

*

قد غسلتِ قدميكِ فانقي بَعْدُ ان تُدنّسي

وخلعتِ ثوبك البالي الشتي فلهُ لا تلبسي
ثوبيَ المرسومُ مني اعتنقي ثم اياه اكتسي
وتردّي بردا الطُهر النقي في الصبا ثمّ المشيب

[جواب النفس] *

انتَ ثقّبُ الصخرة المرموز في ما رأى موسى الكليمْ
كَنَفُ السرِ به من يختفي فاز بالأمن العظيمْ
ملجأ العاني وغوثُ المعتفي وشفا القلب السقيمْ
ان يَغبْ عن لحظي فبويبتي في اذ هو الناءي القريبْ

*

منتهى الآكام مأثور الثرى غاية الحسن البديعْ
جبلُ الابكار من فيهِ ثرى ظلّ في حصنٍ منيعْ
هام قلبي فيهِ من دون السوى وبهِ عفتُ الجميعْ
لذّ لي فيهِ التصابي والهوى واذكى الحبُّ المذيبْ

*

يا جمالَ الكون من ذا لا يُرى في بهاك مغرما
حبُّكَ الواني بأرواحي سرى مازجاً كلَّ الدما
لستُ اسار او يواريني الثرى بل ولو متُّ فنا
متُّ عمّن حسنهُ ابهى الورى اذ هو الحسنُ العجيبْ

*

غُنيتي الفضلى انحادي بيسوعْ منيتي خشفُ الوشا
لم يزل قلبي بعشقٍ ولوعْ منذ يومٍ قد نشا
ليس لي عن حبّ من اهوى رجوعْ وسواهُ لا اشا
لا ولا لي موصلٌ الّا الخضوعْ تحت اقدام الحبيبْ

[وصاة الحبيب] *

فوق قلبكِ اجعليني مَختَما كشذا مسكِ الختامْ
وانصبي فيكِ لحبي سُلّما ترتقي أعلى مقامْ